

تفسير سور المفصل
مِنْ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

تأليف
العلامة الجليل السيد عبد الله كنون



المكتبة المقدسة
دار الفتا
الدار البتة

تفسير سور المفصل
من القرآن الكريم

تفسير سور المفضل من القرآن الكريم

تأليف
العلامة الجليل السيد عبد الله كنون



34-32 شارع فكتور هيكو
الهاتف 26-53-46 - 26-23-75
ص.ب. 4038 الدار البيضاء (المغرب)

وهي التي تُنتَهَا أي كانت لها ثانية في العدد ، بحيث لا تبلغ آيها المائة (والمفصل) وهو ما يأتي بعد المثاني من قصار السور ، سمي بذلك لكثرة الفصل فيه بين السور بالبسملة ، وقيل لقلة المنسوخ منه ، ولهذا يسمّى بالمُحْكَم أيضا كما في البخاري عن سعيد بن جُبَيْر قال : إن الذي تدعونه المفصل هو المحكم ، وعليه الآية : « كتاب أحكمت آياته ثم فصلت » حكاه السيوطي في الاتقان .

وابتداؤه على الراجح من سورة الحجرات إلى الختم ، وهو أقسام ثلاثة (طوال) من الحجرات إلى عبس (ووسط) من عبس إلى الضحى (وقصار) من الضحى إلى الناس .

وفيه المكي والمدني ، أي ما نزل بمكة ، وما نزل بالمدينة ، ومعظمه من الأول ، ولكن ترتيبه ، على ما في المصحف ، لأنه توقيفي بأمر من النبي ﷺ .

ولماذا المفصل بالذات ؟

إنما اخترت أن أبدأ في هذه التجربة بسور المفصل ، لأنها (أولا) صغار ، فتناولها أيسر من تناول السور الكبار ، والمفصل سُبْع القرآن كما قال الراغب ، فإذا لم تنجح التجربة في السَّبْع ، فإنها لن تنجح في الكل . (ثانيا) لأن الأغراض التي تضمنتها سور المفصل هي التي دارت حولها الدعوة الإسلامية في البدء وقد أشرنا إليها آنفا ، وهي التي تهتم عموم المسلمين اليوم فتقديمها أولى (وثالثا) لأن هذه السور بها يبدأ تعليم القرآن للصغار والكبار على السواء وأكثرها مما تقع القراءة به في الصلاة ، وهي تشتمل على النظائر التي كان النبي ﷺ يجمع بينها في صلاته على ما رواه ابن مسعود رضي الله عنه ، وهي سورتا الرحمن والنجم ، واقتربت

مَقَامِهِ لِأَن جَفَاءَ الْأَعْرَابِ غَالِبٌ عَلَيْهِمْ فَلَا يُؤَاخِذُونَ بِذَلِكَ ، وَلِهَذَا قَالَ
(وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) :

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا ، أَن تُصِيبُوا قَوْمًا
بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ، وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ
لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ ، وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ
وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ
الرَّاشِدُونَ فَضَلًا مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ .

من آية 6 - 8

نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي الْوَلِيدِ بْنِ عُقْبَةَ ، وَهُوَ مِنْ مُسْلِمَةِ الْفَتْحِ ، بَعَثَهُ
النَّبِيُّ ﷺ إِلَى بَنِي الْمُصْطَلِقِ عَامِلًا عَلَى الزَّكَاةِ ، فَخَافَ مِنْهُمْ لِثَارِ كَانَ
بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، فَرَجَعَ وَقَالَ إِنَّهُمْ مَنَعُوا الزَّكَاةَ وَهَمُّوا بِقَتْلِهِ ،
وَكَاذَ النَّبِيُّ ﷺ يُقَاتِلُهُمْ ، فَجَاؤُوا مُنْكَرِينَ مَا قَالَهُ عَنْهُمْ ، وَلِذَلِكَ أَمَرَ اللَّهُ
عَزَّ وَجَلَّ بِالتَّشْبِثِ فِي قَبُولِ الْأَخْبَارِ حَتَّى يَتَبَيَّنَ صِدْقُهَا فَقَالَ : (يَا أَيُّهَا
الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ) أَيِ مَتَمٍّ فِي دِينِهِ مِنْ كَذَابٍ أَوْ نَمَامٍ
وَنَحْوِهِمَا (بِنَبَأٍ) أَيِ خَبَرٍ عَنْ قَوْمٍ (فَتَبَيَّنُوا) أَيِ حَقَّقُوا أَمْرَهُ وَقَرَأُوا شَاذًا
فَتَبَيَّنُوا (أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ) أَيِ خَشْيَةٍ أَن تُصِيبُوا الْقَوْمَ الْمَخْبَرَ عَنْهُمْ
بِأَذَى وَأَنْتُمْ جَاهِلُونَ حَالَهُمْ (فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ) حِينَ لَا
يَنْفَعُ نَدَمٌ ، وَقَدْ سَبَقَ السِّيفُ الْعَدْلَ .

فَفِي الْآيَةِ أَمْرٌ بِعَدَمِ الْأَخْذِ بِالظَّنِّ وَالانْصَاتِ إِلَى نَقْلَةِ السُّوءِ لِمَا يَعْقِبُ
ذَلِكَ مِنَ الشَّرِّ الْمُسْتَطِيرِّ وَالضَّرْرِ الْكَثِيرِ وَهِيَ عَلَى هَذَا عِلَامَةٌ لَا تَخْصُ
الْوَلِيدَ ، لِأَنَّ الْعِبْرَةَ بِعُمُومِ اللَّفْظِ لَا بِخُصُوصِ السَّبَبِ (وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ

رَسُولَ اللَّهِ) وهذا ممَّا يزيدُ في حرجِ الموقفِ فكلمًا عظمَ قدرُ المخاطَبِ وجب التحريُّ فيما يُرفعُ إليه ، فالرسول (لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ) ويحكم بما تقولون (لَعَنُتُمْ) أي لوقعتم في العنتِ وهو الإثمُ وذلك لتسبيكم في وقوعِ المحذور ، وكذلك يَأْثُمُ كل من فتحَ بابَ شرٍّ على المسلمين بقوله أو تصرفه ، ففي الآية تنبيهٌ إلى ما يجبُ أن يكونَ عليه المسلمون من الحذر واليقظة حتَّى لا يجدَ الشيطانُ سبيلًا إلى الكيدِ لهمُ والتضريبِ بينهم .

ثم استدركتِ الآيةُ بما يفهمُ منه أن هذا ليس حالَ الصحابةِ الذين أكرمهمُ اللَّهُ بالايمانِ وحلَّاهم بأخلاقه الحسانِ فقالت (وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبِيبٌ إِلَيْكُمُْ الْإِيمَانَ وَزَيْنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ) فامتنعَ عنكم العنتُ ، وكذلك يمتنعُ عن كلِّ من هو على صفتكم من المسلمين (أُولَئِكَ) يعني من كانَ على صفتكم ، والتفتَ من الخطابِ إلى الغيبةِ ليعمَّهُم وغيرهم (هُمُ الرَّاشِدُونَ) أي المومنون المهتدون (فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً) عليهم (وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) فيما يأمرُ به وينهى عنه .

وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا ، فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى ، فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيئَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ ، فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ .

آية 9

نزلت هذه الآيةُ في خصامٍ وقعَ بين الأوسِ والخزرجِ باستفزازٍ من عبدِ اللَّهِ بنِ أُبَيٍّ ابنِ سلولٍ وكانَ لم يُظهرِ الاسلامَ بعدُ ، وهي تشتملُ على مبدأٍ سامٍ في السياسةِ الاسلاميةِ لو أخذَ به المسلمون لما كانَ وقعَ بينهم ما وقعَ من الاقتتالِ في مختلفِ العصورِ حتَّى ضعفت قوتهم وأوجدوا السبيلَ لتحكمِ العدوِّ فيهم . فإنَّ اللَّهَ تعالى يأمرهم إذا اقتتلت طائفتان

وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ، ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ ، وَنُفِخَ فِي
الصُّورِ : ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ، لَقَدْ
كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ .

الآيات من 19 - 22

انتقل الكلام من الغيبة إلى الخطاب لاثارة الاهتمام بالموضوع الذي ما يزال بحاله لم يتبدل وهو اثبات البعث ، فقله (وجاءت سكرة الموت) أي شدته وغمرته (بالحق) أي بأمر الآخرة والبعث الذي تُنكره أيها الانسان وقد وُضِعَ الماضي موضع المستقبل لتحقيق وقوع المتحدث عنه وهو الموت وقربه . فالمعنى وستجي سكرة الموت بالحق الذي تُنكره حتى تراه عياناً (ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ) أي تهرب وتفرغ إلى التكذيب به (وَنُفِخَ) أي وسينفخ (فِي الصُّورِ) نفخة البعث ، والصور القرن الذي يُنفخ فيه فينبعث منه صوت جهير ، والأمر فيه هنا على سبيل التمثيل بما يعهده الناس (ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ) للكفار بالعذاب (وَجَاءَتْ) أي وستجي يومئذ (كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ) من الملائكة يسوقها إلى المحشر (وَشَهِيدٌ) يشهد عليها بما عملت من خير أو شر وهو كتاب الملكين الحافظين . ولما كان الكلام جارياً على حكاية ما سيقع كأنه وقع ، كمل بما يقتضيه المقام من الخطاب الذي يقال للكافر المنكر للبعث وهو : (لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ) أي الحجاب الذي كان بينك وبين التصديق بالآخرة (فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ) حاد قوي يُدرك ما كان يتعمى عنه في الدنيا .

وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَتِيدٍ . مَتَاعٌ
لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ، الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ
الشَّدِيدِ قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْعَيْتُهُ وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ قَالَ لَا
تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ . مَا يُبَدِّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا
أَنَا بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ .

الآيات من 23 — 29

قرينه هو الملك السائق له يقول يا رب (هذا ما لدي) أي الشخص
الذي كلفني به (عتيد) أي حاضر وفي التعبير عنه بما ، دلالة على
حقارته وصغر شأنه وهذا الذي ذكرناه في القرين هو قول جماعة من
السلف ، واختار ابن جزي القول بأن المراد بالقرين هنا الشيطان الذي
كان يغويه لأنه هو المذكور بعد هذا ونحن نميل إلى اختياره لا سيما وفي
الآية الأخرى « وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نَقِيضٌ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ
قَرِينٌ » ويزيده تأييداً قوله عز وجل (أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ) خطاباً للملائكة
على صورة المثني بملاحظة الكافر والقرين ، فهما معاً فيها (كُلَّ كَفَّارٍ
عَتِيدٍ) منكر للحق (مَتَاعٌ لِّلْخَيْرِ) الزكاة وغيرها (مُعْتَدٍ) على أوامر الله ،
(مُرِيبٍ) شاك في الدين (الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ) أي أشرك بالله
فبعد معه غيره (فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ) في نار جهنم . واستؤنف
الكلام لاستيناف الخصام بين الكافر وقرينه فقال تعالى (قَالَ قَرِينُهُ) أي
قرين الكافر الذي هو الشيطان المغوي له بعد القائهما في النار (رَبَّنَا مَا
أَطْعَيْتُهُ) أي أضلته (وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ) عن الحق فالكافر
يقول : أطعاني والقرين ينكر ، ويحييها الجبار قاطعاً عليهما طريق الأمل في
النجاة (قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ) على لسان
الرسول وفي الكتب المنزلة (مَا يُبَدِّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ) أي لا تغيير لحكمي

بَتَغْذِيبِ الْكَفَّارِ وَالْمَرَادُ قَوْلُهُ «إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ لِرِطَّائِغِينَ مَابَأَ» وَمَا مِثْلَهُ
(وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ) فَأَعَاقِبُهُمْ بِغَيْرِ جُرْمٍ لِأَنَّهُ تَعَالَى اعْذِرْ إِلَى الْخَلْقِ
بَارِسَالِ الرِّسَالِ وَتَوَعَّدَ الْكَافِرِينَ فَلَا ظُلْمَ فِي فَعْلِهِ كَمَا لَا تَبْدِيلَ لِقَوْلِهِ .

يَوْمَ يَقُولُ لِرِجَالِهِمْ هَلْ امْتَلَأْتُمْ ، وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ
لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيفٍ . مَنْ خَشِيَ
الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ . ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ . ذَلِكَ يَوْمُ
الْخُلُودِ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ .

الآيات من 30 — 35

قرأ نافع يقول بالياء على سبيل الالتفات من التلحم إلى الغيبة وفي
قراءة غيره نقول بالنون . وهذا اخبار من الله عز وجل بأنه يقول لجهنم يوم
القيامة (هل امتلأت) تحقيقاً للوعد بملئها في قوله «حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي
لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ» (وتقول هل من مزيد) على
سبيل الاستفهام أي هل بقي بعد هذا العدد الذي لا يُحصى شيء
فكانها تقول : امتلأت (وأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ) قُرِبَتْ وَهِيَئَتْ (لِلْمُتَّقِينَ)
وَالْمَاضِي وَاقِعٌ مَوْقِعُ الْمُسْتَقْبَلِ لِتَحَقُّقِ وَقُوعِهِ وَلِذَلِكَ قَالَ (غَيْرَ بَعِيدٍ) فَإِنْ
كُلُّ مَا هُوَ آتٍ قَرِيبٌ . وَقَوْلُهُ تَعَالَى (هَذَا مَا تُوعَدُونَ) هُوَ عَلَى اضْمَارِ
الْقَوْلِ أَيِ وَيَقَالُ لَهُمْ : هَذَا الثَّوَابُ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ وَقَوْلُهُ (لِكُلِّ
أَوَّابٍ حَفِيفٍ) بَدَلٌ مِنَ الْمُتَّقِينَ تَفْسِيرٌ لَهُ فَالْمُتَّقُونَ الْمُوَعَدُونَ بِالْجَنَّةِ هُمُ
الْأَوَّابُونَ أَيِ الثَّائِبُونَ إِلَى اللَّهِ الْحَافِظُونَ لِحُدُودِهِ الَّذِينَ يَحْشُونَ رَبَّهُمْ سِرًّا
وَعَلَانِيَةً (مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ) وَيَلْقَوْنَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ
خَاضِعٍ لَهُ (وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ) فَيَقَالُ لَهُمْ (ادْخُلُوهَا) أَيِ الْجَنَّةِ
(بِسَلَامٍ) أَيِ أَمَانٍ مِنَ الْعَذَابِ (ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ) فِي النِّعَمِ الْمَقِيمِ .

عَبْدِهِ) وَرَسُولُهُ مُحَمَّدٍ بِوَاسِطَةِ جِبْرِيلَ (مَا أَوْحَى) وَفِي إِنْهَامِهِ تَعْظِيمٌ لِّشَأْنِهِ وَتَفْخِيمٌ. وَيَكْفِي أَنَّهُ الْوَحْيُ الْإِلَهِيُّ الشَّامِلُ لِلْقُرْآنِ وَسَائِرِ الْعُلُومِ الَّتِي بِهَا صَلَاحُ الدِّينِ وَالدُّنْيَا.

مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى ، أَفْتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى .

الآيَاتُ 11 — 12

يَعْنِي أَنَّهُ ﷺ رَأَى جِبْرِيلَ حَقًّا وَلَمْ يُكَذِّبْ فُؤَادُهُ مَا رَأَتْهُ عَيْنَاهُ (وَكَذَبَ) بِالتَّخْفِيفِ وَالتَّشْدِيدِ قِرَاءَتَانِ سَبْعِيَّتَانِ بِمَعْنَى وَاحِدٍ وَالْفُؤَادُ الْمُرَادُ بِهِ قَلْبُ النَّبِيِّ ﷺ وَحَيْثُ كَانَ وَائْتِقًا بِمَا رَعَاهُ فَكَيْفَ (تُمَارُونَهُ) مِنَ الْمَهَارَةِ وَهِيَ الْمَنَازَعَةُ (عَلَى مَا يَرَى) وَهُوَ خَطَابٌ لِلْمُشْرِكِينَ الْمُنْكَرِينَ لِرُؤْيَةِ النَّبِيِّ ﷺ لِجِبْرِيلَ وَنَزُولِهِ عَلَيْهِ بِالْوَحْيِ ؟ وَهُوَ قَدْ رَأَاهُ فِي صُورَتِهِ الْأَصْلِيَّةِ أَوَّلًا ثُمَّ صَارَ يَرَاهُ فِي صُورَةِ إِنْسَانٍ سَوِيٍّ الْخَلْقَةِ كَدَحِيَّةِ الْكَلْبِيِّ وَغَيْرِهِ ، جَاءَ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى فِي قَوْلِهِ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى وَفِي قَوْلِهِ : لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى أَنَّهُ قَالَ فِيهَا كُلُّهَا : رَأَى جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَهُ سِتْمَاةٌ جَنَاحٍ أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ وَالتِّرْمِذِيُّ وَفِي رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ رَأَى جِبْرِيلَ فِي صُورَتِهِ .

وَلَقَدْ رَأَاهُ نَزْلَةً أُخْرَى عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى ، عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى ، مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى .

الآيَاتُ 13 — 18

(نَزْلَةً أُخْرَى) يعني مرة ثانية . وهي فعلة من النزول ، إشارة إلى أن جبريل عليه السلام نزل إليه ﷺ لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ فَصَحَّبَهُ إِلَى السَّمَوَاتِ الْعُلَى . وراه أيضاً على صورته الأصلية (عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَى) وهي شجرة نبق من عالم الغيب ، ينتهي إليها علمُ المخلوقات (عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى) التي يَأْوِي إِلَيْهَا الْمَلَائِكَةُ وَأَرْوَاحُ الشُّهَدَاءِ . وَكَانَتْ هَذِهِ الرَّؤْيَا (إِذْ يَغْشَى السُّدْرَةَ مَا يَغْشَى) أي في هذه اللحظة . وأبهم ماغشيتها لعظم شأنه ، وفي حديث الإسراء انه ﷺ بلغ سدره التتهى فإذا أوراقها كأذان الفيلة ، وإذا ثمرها كقلل هجر . فلما غشيتها من أمر الله ما غشيتها تَغَيَّرَتْ فما أحدٌ من خلق الله يقدر أن ينعتها من حسننها . وكان هذا التجلي العظيم هو الذي جعل جبريل يظهر في صورته الأصلية فيراه النبي ﷺ مرة ثانية على خلقته . (مَا زَاغَ الْبَصَرُ) مِنْهُ ﷺ أي مَالَ عَنْ مقصوده (وَمَا طَغَى) أي جاوز ما أمر به ولا سأل الا ما أُعْطِيَ ، قاله ابن كثير .

(لَقَدْ رَأَى) في هذه الليلة (من آياتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى) شيئاً عجيباً أخبر عن بعضه في حديث الإسراء . وهذا الذي ذكرناه في الرؤية هو الذي ينسجم مع سياق الآية ، ومما يشهد له ما أخرجه الإمام أحمد قال حدثنا محمد بن أبي عدي عن داود عن الشعبي عن مسروق قال كنت عند عائشة فقلت أليس الله يقول « وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأَفْقِ الْمُبِينِ » ، ولقد رآه نزلة أخرى » فقالت : أنا أول هذه الأمة سألت رسول الله ﷺ عنها فقال : إنما ذاك جبريل ، لم يره في صورته التي خلق عليها إلا مرتين الحديث وأخرجاه في الصحيحين من حديث الشعبي .

أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى ، وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنْثَى
تِلْكَ إِذَا قُسِمَتْ ضِرَازِي إِنَّ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ مَا
أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ ، إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ

جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى ، أَمْ لِلْإِنْسَانِ مَا تَمَنَّى ، فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ
وَالْأُولَى .

الآيات من 19 — 25

(اللَّاتُ وَالْعُزَّى وَمَنَاةَ) أصنامٌ للعرب كانت تعبدها من دون الله ،
فأمَّا اللَّات فكان في جوف الكعبة على ما قيل ، وأمَّا العُزَّى فكانت شجرة
بالطائف ، وأمَّا مناة فصخرة كانت لهذيل وخزاعة ، وكانت أعظم هذه
الأوثان ولذلك قال تعالى في وصفها (الثالثة الأخرى) أي المتأخرة
الوضيعة القدر فهو ذمٌ لها وتحقيرٌ . والله تعالى يُنكرُ عليهم عبادتها بقوله :
(أَفَرَأَيْتُمْ) فهو استفهامٌ إنكاريٌّ جاء بعدما تقدم من الآيات الدالة على
عظمته جلٌّ وعزٌّ ازراءٌ عليهم واستخفافاً بعقوبهم حيث تركوا المعبود الحق ،
وعبدوا ما لا يملك لهم ضرراً ولا نفعاً . فكانه قيل : أرايتم معبوداتكم هذه
ما نسبتهما من الإله الحق الذي لا تخفى عظمته وألوهيته (أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ
الْأُنثَى) إشارة إلى الاعتقاد الذي كان عليه مشركوا العرب ، وهو زعمهم
ان الملائكة بناتُ الله في حين أنهم يزددون الأنثى ، ويختارون عليها الذكر
ولذلك قال مهزناً لهم (تِلْكَ إِذَا قِسْمَةٌ ضِيزَى) أي جائزة ظلمة فيما لو
كَانَتْ بين الخلق بعضهم مع بعضٍ حسب رأيكم فكيف بالخالق المنزه عن
الوالد والولد ... (إِنْ هِيَ) أي الأصنامُ المذكورة (إِلَّا أَسْمَاءُ) على
مُسَمَّياتٍ خالية من معنى الألوهية بل من الحياة مطلقاً (سَمَّيْتُمُوهَا) أي
زعمتم لها ما زعمتم (أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ) الضَّالُّونَ (مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا) أي
بعبادتها (مِنْ سُلْطَانٍ) أي حجةٍ ودليلٍ (إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى
الْأَنْفُسُ) التفت من خطابهم إلى الغيبة اشعاراً بالإعراض عنهم لأنهم
لِكُفْرِهِمْ واتباعهم الظنَّ وإيثارهم لهوى النفس لا يستحقون أن يُخاطبوا ،
كيف (وَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى) وَالَّذِينَ فَأَعْرَضُوا عَنْهُ ولم يريدوا إلا
الغى والضلال وقوله تعالى (أَمْ لِلْإِنْسَانِ مَا تَمَنَّى) معناه بل ليس للإنسان

ما تَمَنَّى . لأنه استفهامٌ انكاريٌّ مرادٌ به النفي ، والمقصودُ بالإنسانِ ههنا
 العمومُ وإنْ كَانَ الكُفَّارُ أولَ الداخلين فيه فإنَّ حالهم هي التعلق بالأمانيِّ
 الكاذبةِ والاتكالُ على شفاعَةِ الأصنامِ لَهُمْ في بلوغِ الأغراضِ ولن
 يَحْصُلُوا من ذلكَ على طَائِلٍ هُمْ ومن كان على شاكلتهم في اللجأ لغير الله
 فإنَّ الأمرَ كُلَّهُ له سبحانه سواءٌ في الدنيا والآخرة كما قال (فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ
 وَالْأُولَى) لَا يُعْطِي فِيهِمَا شَيْئًا إِلَّا لِمَنْ أَرَادَهُ ، ونفذتْ له به قدرته .

وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ
 يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى .

الآية 26

هذا من تنمة ما قبله . وفيه تقنيطٌ للكفارِ من شفاعَةِ الملائكةِ لهم
 فأحرى الأصنامِ والآلهةِ الباطلةِ فقولُهُ (وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ) أي
 كثيرٌ هُم الملائكةُ الذين في السمواتِ ومع كثرتهم (لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا)
 بل لَا يَشْفَعُونَ (إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ) لَهُمْ فِي الشَّفَاعَةِ (وَيَرْضَى)
 وهو تعالى لَا يَرْضَى عن الكُفَّارِ وَلَا يتجرأ أحدٌ على الشَّفَاعَةِ فيهمْ لَا مَلَكٌ
 مقربٌ . وَلَا نَبِيٌّ مرسلٌ وفي آيةِ الكرسيِّ : « مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا
 بِإِذْنِهِ » !

إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيَسْمُوتُونَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةَ الْإِنثَى وَمَا لَهُمْ بِهِ
 مِنْ عِلْمٍ ، إِنَّ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ ، وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا .

الآيتان 27 — 28

بعيداً ويضحكون استخفافاً به وحقهم أن يبكوا لسماع وعده ووعيده ،
لكنهم كانوا في غفلة عنه وإعراض وذلك قوله (وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ) أي
لاهون مستكبرون.

ولم يختم سبحانه السورة بما سجله عليهم من هذه الحالة المنكرة ، بل
أمرهم بالسجود والعبادة المستلزمين للإيمان بقوله : (فَاسْجُدُوا لِلَّهِ
وَاعْبُدُوا) إشارة إلى أنه لا ينبغي أن يُيأسَ منهم ، فليواصل النبي ﷺ
دعوته فعسى أن يستجيب له من أراد الله به خيراً منهم ...

وقد روي أنه ﷺ لما فرغ من قراءة هذه السورة سجد ، وسجد معه
المسلمون والمشركون الا أمية بن خلف رفع كفاً من التراب الى جبهته
وقال : يكفيني هذا ، فقتل يوم بدرٍ كافراً.

فانظر إلى بلاغة القرآن كيف أثرت في نفوس القوم فلم يَسْعَهُمْ بعد
ذلك التقرير الشديد الا السجود . لأن هذا كان آخر ما وعته قلوبهم
ووقع عليه الانفصال.



سورة القمر

وهي مكية

قال الله تعالى :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ : اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ .

الآية 1

يقول الله تعالى إنذارا للكفار ، إن وقت القيامة وهي (الساعة) قد اقترب . وقد (انشقَّ القمرُ) دليلا على ذلك ، لأن النبي ﷺ بُعث بين يدي الساعة ، فلا نبيَّ بعدهُ وكان أهل مكة سألوه أن يُريهم آيةً فَأَرَاهُمُ انشاق القمر إلى نصفين حتَّى رأوا جبلَ حراء بينهما رواهُ البخاريُّ . وهذه المعجزة نذيرٌ بفناء الدنيا لأنه إذا انشقَّ القمر وهو كوكب عظيم مثل الأرض ، فغيره كذلك قابلٌ للإنشاق ثمَّ الفناء . فما أقرب الساعة زمتنا وحدثاً . وقدَّر بعضُ المفسرين انشقَّ ينشق يعني في المستقبل وهو فرار من اثبات المعجزة . وما بلغنا غيرها من معجزات الأنبياء كفلق البحر لسيدنا موسى إلّا بما بلغتنا به هذه فكيف تُفرق بينهما ؟ .

المُرَادُ بالمجرمين الكفار . وهذا تصويرٌ لحالهم في الآخرة فهم (في ضَلَالٍ) أي هلاكٍ (وسُعْرٍ) أي نيران . جمع سَعِير ، يسحبون على وجوههم فيها ويقال لهم ، (ذُوقُوا مَسَّ) أي حرَّ (سَقَرٍ) وهي جهنم أعادنا الله منها . وقوله تعالى (إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ) إشارة إلى أن الأشياء كلها بتقدير العزيز الحكيم ومنها تعذيبُ الكفار وإثابةُ المؤمنين ، فإنه حكمٌ عدلٌ وجزاء وفاق من الحق سبحانه وذكر ذلك في سياق الزجر والوعيد ليعلم أن الله لا يظلمُ الناس شيئاً ولكنَّ الناس أنفسهم يظلمون ثم أشارت الآية إلى أمر ثان وهو أن الأشياء كلها معها عظم شأنها مرهونة بكلمة واحدة منه عز وجل (وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ) أي كلمة تدل عليه وهي كُن فيكون (كَلَّمَحٍ بِالْبَصَرِ) . في السرعة وهو كالأية الأخرى « إنما أمره إذا أراد شيئاً يقول له كُن فيكون » فلا يتعاضمه تعالى شيء من إهلاك الكفار وحشرهم وعذابهم بل الأمر أهون من ذلك .

وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ، وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ،
وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌّ .

الآيات من 51 — 53

هذا كالدليل على ما قبله ، فإن الذي أهلك أشياعهم يعني أشباههم في الكفر من الأمم الماضية . قادر على أن يهلكهم ويلحقهم بهم (فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ) منكم يعني فلتذكروا ولتعتبروا بحال من ذكر فإن العاقل من وعظ بغيره وقوله تعالى (وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ) أي الصحف تنبيه على أن أعمال العباد كلها من خير وشر تسجل عليهم ويكتبها الملائكة الحفظة في صحفهم فلا يدعون كبيرة ولا صغيرة من الأعمال الصالحة أو

السيئة إلا سطرَّوها وأحصوها ثُمَّ يُؤْتَى بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ فيقع عليها الحساب وذلك هو قوله تعالى (وَكُلُّ كَبِيرٍ وَصَغِيرٍ مُّسْتَطَرٌّ) أي مكتوب محصي.

إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ، فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِندَ مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ .

الآيتان 54 — 55

وختم سبحانه السورة ببيان حال المؤمنين المتقين وما هم فيه من النعيم المقيم والقرب من الله العظيم ، لأن أسلوب القرآن غالبا ما يراعي هذه المفارقة من ذكر حال الكُفَّار وحال المؤمنين ليُرغَّب أولئك في الإيمان ، ويطمئن هؤلاء على مصيرهم ، وأيضا ليكون الانصراف في السورة على وعد وبشارة بعدما قرعت الأسماع وأفزعت النفوس ، تلك الأوصاف المهولة ليوم القيامة وما تضمنته من الوعيد والعذاب الأليم . فما أبلغ القرآن وأحكم أسلوبه (وَالْمُتَّقُونَ) الذين تجنبوا الكفر وامثلوا أمر الله (وَالنَّهَرِ) بالفتح المراد به الجنس فإنها أنهار كالجنات (وَمَقْعَدُ الصِّدْقِ) أي مكان الرضى (وَعِندَ مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ) إشارة إلى مقام القرب والزلفي من الله عز وجل . جعلنا الله من أهله بمنه وفضله .



سورة الرحمن

وهي مكية

قال الله تعالى :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ، خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ .

الآيات من 1 — 4

يقول سبحانه وتعالى انه الرحمن بعباده الذي نزل عليهم القرآن فيه الهدى والنور ويسر حفظه وفهمه عليهم كما سبق في الآيات مكررا : « وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ » . وأنه خلق الانسان بقدرته وبديع حكمته وعلمه البيان أي النطق الذي امتاز به عن سائر الحيوان وهي نعمة عظيمة لا يكافئها إلا ما ذكر معها من تعليم القرآن ، وفيه إشارة إلى أن فائدة تعليمه النطق هو استعماله فيما يعود عليه بالنجاة دنيا وأخرى من الإيمان والاهتداء بهدى القرآن . ونزلت الآية لما قال كفار مكة وقد سمعوا قوله : « اسجدوا للرحمن » : « وما الرحمن ؟ »

الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ، وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ .

الآيتان 5 — 6

قوله تعالى بحسبان أي يحريان بحساب دقيق ونظام رتيب لا يختلف ولا يضطرب وهو دليل الحكمة وبرهان الاقتدار يعلم ذلك من يعرف حساب الشمس والقمر وما ينشأ عنه من تغيير الفصول وضبط الأوقات وغير ذلك وأما النجم فقليل إن المراد به هاهنا ما لا ساق له من النبات ، ومقابله الشجر ، وقليل هو النجم الذي في السماء ، ويدل له قوله تعالى : « أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ . وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ » والمراد بسجودهما الخضوع والذلة والافتقار وهذا منتهى العظمة وغاية الرفعة وإن كان الكفار في غفلة عن ذلك.

وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ، أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ .

الآيات من 7 — 9

ومن دلائل الحكمة والاقتدار أنه تعالى رفع السماء بغير عمد ، وأنزل منها الميزان بمعنى العدل ووجوب الحكم به وعدم الميل عنه ، فكما أن السماء لا ميل فيها ولا انحراف ، كذلك ينبغي أن تكون الأشياء كلها قائمة بالحق والميزان ولذلك قال تعالى (أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ) أي لئلا تجوروا فيه وأكد سبحانه ذلك بجملتين طلبيتين ليعلم أن شأن العدل عظيم وإن به قامت السموات والأرض فقال : (وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ) أي التقدير للأمور (بِالْقِسْطِ) أي العدل (وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ) أي لا تنقصوه .

وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنْعَامِ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَاللَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ ، وَالْحَبِّ

ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ .

الآيات من 10 — 12

وهذا دليل آخر على عظيم القدرة وبديع الحكمة ؛ فإنه تعالى كما رفع السماء وضع الأرض أي مهدها وارساها بالجبال وسخرها للخلق كافة وأخرج منها فاكهة مختلفة الألوان والطعوم ، ومن اخصها النخل ، وهي الشجرة المعهودة (ذَاتُ الْأَكْمَامِ) أي أوعية الطلع الذي يكون قبل للنضج زينة لها ، وبعده غذاء للإنسان (وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ) أي التبن فالمراد به الحنطة والشعير وما إليهما (وَالرَّيْحَانُ) أي الورق مطلقا أو هذا المشموم المختلف الروائح والألوان ، وهو المناسب لسياق الآية ، والتعجب من صنع الله في الزرع والنبات والفواكه والثمار .

فَبِأَيِّ ءَالٍ رَبَّكُمَا تُكَذَّبَانِ .

الآية 13

الآلاء النعم ، والخطاب للجن والإنس على سبيل الاستفهام التقريري لأنه لا واحد منهما يستطيع أن يكذب بشيء من نعم الله وهو مغموور بها . وقد أخرج الترمذي عن جابر بن عبد الله قال : خرج رسول الله ﷺ على أصحابه فقرأ عليهم سورة الرحمن الى آخرها فسكتوا فقال ، لقد قرأتها على الجن فكانوا أحسن مردودا منكم . كنت كلما أتيت على قوله تعالى فَبِأَيِّ ءَالٍ رَبَّكُمَا تُكَذَّبَانِ ، قالوا : لا بشيء من نعمك ربنا نكذب ، فلك الحمد وكررت هذه الآية احدى وثلاثين مرة للتذكير والتقرير بنعم الله تعالى على العباد التي ينكرها الكفار وينكرون المنعم بها حتى قالوا : وما الرحمن ؟ ولذلك جاءت السورة كلها مقصورة على تعداد النعم الدنيوية والأخروية !

خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ ، وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِنْ
نَارٍ ، فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ .

الآيات من 14 — 16

أخبر تعالى عن خلقه الانسان الأول أعني آدم عليه السلام من طين
يابس وهو الصلصال لأنه إذا نُقِرَ سمع له صلصلة ، أي صوت كالفخار
المعلوم ، وعن خلقه أبا الجن وهو ابليس ، من مارج أي هب مختلط
بسواد من نار . وهذه عجيبة العجائب ، فكيف ينكر الكفار وجوده تعالى
وقد انطق الجهاد والدخان وأحياهما ونسلهما إلى ما لا يعلم حقيقته الا هو عز
وجل ...؟

رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ ، فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ .

الآيتان 17 — 18

هذا أيضا من جملة الأدلة على عظم قدرته تعالى وباهر حكمته ، فإنه
وإن اندرج في جملة الآية (الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ) إلا أنه يشتمل على
تفصيل ينبغي التنبه إليه وهو اختلاف مشرق الشمس ومغربها في الصيف
عن مشرقها ومغربها في الشتاء ، وبذلك يكون اعتدال الهواء واختلاف
الفصول وحوادث ما يناسب كل فصل من مواليد الطبيعة ومنافع البشر
ومعنى كونه ربها انه تعالى خالقهما ومدبرهما .

وفي الآية ارشاد الى معرفة علم الفلك لمعرفة عظمة الله .

ومن جملتها اننا نركبها فما ننشئه من السفن البحرية وهي
 (الجَوَارِ الْمُنْشَاتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ) أي كالجبال عظاما وارتفاعا
 فنقرب بها الابعاد ونصل ما بين الاقطار ، وذلك بتسخير الله لها
 ولولاه هلكنا (وَايَةُ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلِّ الْمَشْحُونِ
 وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ ، وَإِنْ نَشَاءُ نَغْرِقْهُمْ فَلَا يَصْرِخُ لَهُمْ
 وَلَا هُمْ يُنْقَذُونَ إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا) والمراد بالآية كسابقاتها الدلالة على
 الله والتعرف اليه في مخلوقاته وآثاره وتبصير من لا يبصرون ممن إذا
 قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن ؟

كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ . وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ . فَبِأَيِّ
 ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ .

الآيات . من 26 — 28

من أعظم الآيات على وجوده تعالى وتفرد به بالالوهية انه الباقي بلا
 زوال ، وان الفناء سيأتي على جميع المخلوقات ولا يبقى الا وجهه تعالى
 الموصوف بالجلال والإكرام ، فالكفار لما جهلوه جهلوا أعظم حقيقة في
 الوجود وبذلك استحقوا التوبيخ والعذاب .

والضمير في عليها للأرض وان كان لا مفهوم له كما تدل على ذلك
 الآية الأخرى «كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ» .

يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ، فَبِأَيِّ ءَالَاءِ
 رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ .

الآيتان 29 — 30

هذا مرتب على ما قبله ، فإنه إذا كان ما عداه فانيا وهو الباقي بلا نهاية كان الجميع مفتقرا إليه وهو الغني عما سواه . ومن في السموات والأرض صادق بالملائكة والانس والجن والحيوانات والجمادات وغيرها ، والسؤال بلسان الحال أو المقال وهو تعالى كل يوم في شأن ، أي أمر يظهره على وفق مراده في الأزل من منع ، وإيتاء ، وإماتة ، وإحياء ، وغير ذلك .

عن أبي الدرداء (ض) في قوله تعالى (كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ) قَالَ : من شأنه أن يغفر ذنبا ، ويفرج كربا ، ويرفع قوما ويضع آخرين

سَتَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ ، فَبِأَيِّ ءَالٍ رَبَّكُمَا تُكَذَّبَانِ .

الآيتان 31 — 32

المراد ، سنحاسبكم ونجزيكم بما تعملون يوم القيامة . والثقلان الجن والانس . عن ابن عباس رضي الله عنهما في هذه الآية ؛ قال : هذا وعيد من الله لعباده وليس بالله شغل ، والآية في سياق تعداد النعم والأدلة على قدرته تعالى فهي وان توعدت المذكورين تشير الى عدله عز وجل في خلقه بحسابهم واثابة المطيع منهم وعقاب العاصي .

يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنِ اسْتَظَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا ، لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ ، فَبِأَيِّ ءَالٍ رَبَّكُمَا
تُكَذَّبَانِ ، يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شَوَاظٌ مِنْ نَارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنْتَصِرَانِ ، فَبِأَيِّ
ءَالٍ رَبَّكُمَا تُكَذَّبَانِ .

الآيات من 33 — 36

ختمُ للسورة بما هو المقصودُ بالذات من توحيدِه تعالى وافرادِه بالعبادة
والتعظيم والاحلال ، فهو انصرافٌ بديعٌ مُناسبٌ تَمَامَ المناسبةِ لأولها وما
ذُكر فيها من الأدلة على عظيمِ القُدرة وباهرِ الحكمة ، وقال قومٌ ان (اسم)
هنا زائدٌ والمرادُ تبارك ربُّك ، ولا نراه كذلك فإنه مقصود للردِّ على الذين
قالوا : وما الرحمن ؟ بعد أن عرفوا هذا الإسم الكريم بجلالِ آثاره وعظيمِ
أفعاله.



سورة الواقعة

وهي مكية

قَالَ اللهُ تَعَالَى :

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ لَيْسَ لِقُوعِهَا كَاذِبَةٌ .

الآيتان 1 — 2

(الواقعة) هي القيامة وكانوا يكذبون بها ويتعجبون من كونهم يُبعثون إذا صاروا ترابا وعظاما ، فردَّت عليهم الآية بأنهم سوف يردُّون ويعلمون وانهم إذا كذبوا بها الآن فإن غداً لناظره قريبٌ حين تصيرُ حقيقةً واقعةً ولا يستطيع أحدٌ لها تكديباً ، فمعنى (لَيْسَ لِقُوعِهَا كَاذِبَةٌ) انه لا يبقى بها تكذيب حينئذ .

خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ . إِذَا رَجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا . وَبَسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا . فَكَانَتْ
هَبَاءً مُنْبَثًّا . وَكَنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً .

الآيات من 3 — 7

هذا تقريرٌ لعظمة القيامة وتهويلٌ لموقعها فإنها حدثٌ عظيمٌ تترتبُ عليه أمورٌ أعظمٌ منه كالجزاء والعقاب ودخول أهل الجنة الجنة وأهل النار النار

